هذا التأرجح السوفياتي، في مثل هذه المواضيع الهامّة، بقي على حاله عندما عُقد مؤتمر القمة العربي في الرباط، حيث أعلن الاتحاد السوفياتي، جهاراً، تأييده لفكرة تشكيل وفد اردني ـ فلسطيني مشترك لحضور مؤتمر جنيف، بينما كانت رسالة بودغورني وكوسيغن الى المؤتمر قد دعتا الى استئناف محادثات مؤتمر جنيف من دون ذكر للفلسطينيين اطلاقاً. غير ان هذا «الاعتدال» النسبي، خلال قمّة الرباط، كما هو واضح، يمكن ان يكون قد صُمِّم، في الاصل، لمنع المؤتمر من تبنّي قيود شديدة جداً تتعلّق بالموافقة على عودة مؤتمر جنيف الى الانعقاد؛ وهذه القيود كانت، بالتأكيد، ممكنة إذا ما نظرنا الى موقف العرب «الراديكاليين» قبل المؤتمر، وخلاله، منها رفض حبش وجبريل، في اللحظة الاخيرة، المشاركة في الوفد الفلسطيني، ودعوة حبش العراق وليبيا والجزائر واليمن الجنوبي الى رفض أي برنامج يشير الى تسوية للقضية الفلسطينية، بينما كان نائب الرئيس العراقي، صدام حسين، عارض مؤتمر السلام في جنيف[١٢٤]. بل وحتى بعد قرارات قمّة الرباط، استطاع الاتحاد السوفياتي الاعلان، بكل حماس، عن القرار الخاص بالمنظمة باعتبارها ممثلاً شرعياً وحيداً للشعب الفلسطيني، وتلهّفه على ابقاء خياراته السياسية مفتوحة مع الاردن، في آن[١٢٥].

استمرت ازدواجية التحرّك السوفياتي هذه خلال الفترة التي تلت قمّة الرباط، واتّضحت في أجلى صورها في المناقشات التي دارت بين الرئيس الاميركي جيرالد فورد ـ الذي كان حلّ مكان نيكسون، منذ آب (اغسطس) ١٩٧٤ ـ وبين بريجينيف في فلاديفوستوك، في ٢٣ و٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤، في ما يختص بقضية الشرق الاوسط. ويبدو ان الطرفين لم يتفقا على كيفية التوصّل الى نقاط مشتركة، الّا انهما اتفقا، كما جاء في نص البيان الختامي، على ان يكون قرار مجلس الامن الدولي الرقم ٣٣٨ للعام ١٩٧٣ أساساً «لاقامة سلام وطيد وعادل» في الشرق الاوسط، وعلى أخذ «المصالح المشروعة» لجميع شعوب المنطقة، بمن فيها الشعب الفلسطيني، بعين الاعتبار. كما اعترفا بحق كل دول المنطقة «بالوجود المستقل». وكلمة «مستقل» لم تكن واردة في بيان بريجينيف ـ نيكسون المشترك. امّا مؤتمر جنيف، فـ «ينبغي» ان يلعب دوراً هامّاً في احلال السلام العادل؛ كما يجب عقده في أسرع وقت ممكن. وبينما احتوى بيان بريجينيف ـ نيكسون على اشارة الى مسألة المشاركين الآخرين في المؤتمر بعد عقده، خلا بيان بريجينيف ـ فورد من أيّة اشارة الى ذلك[١٢٦]. ويبدو ان بريجينيف، خوفاً من ان يثير معارضة العرب اذا ما طرح موضوع المشاركة ثانية، وخشية استحالة موافقة واشنطن على أية صيغة أخرى جديدة، فضّل، بكل بساطة، ان يتجنّب طرح الموضوع، كلية[١٢٧].

كان محور الخلاف بين العملاقين يتركّز على مؤتمر جنيف، من حيث توقيته ودوره في التوصّل الى تسوية سلمية. فالسوفيات كانوا يرون ضرورة عقد المؤتمر بأسرع وقت ممكن، من أجل التوصّل الى مناقشة المسائل المعلّقة وحلّها، والتوصّل الى اتفاق بشأنها ضمن اطار المؤتمر ذاته. وقد عبّرت عن ذلك زيارات غروميكو المتتالية الى كل من دمشق والقاهرة، وتصريحاته العديدة في هذا الشأن. كما عبّر عنها، بوضوح أكثر، ومن دون مواربة، ايغور بيلياييف، اذ اعتبر «دبلوماسية الطرف الواحد» غير ملائمة لحل مشكلة الشرق الاوسط، بل الانسب هو «الجهود المشتركة لتأمين عقد مؤتمر جنيف بأسرع وقت ممكن». ورأى ان «مَنْ يريد الحل، فليسرع الى جنيف. هذا هو الحل الصحيح. ونحن لا نؤمن بما يسمّى الدبلوماسية الهادئة والسرية؛ فالاتحاد السوفياتي يجب ان يشترك في كل جهد، وفي كل عمل ملموس لتحقيق السلام العادل في الشرق الاوسط؛ ونحن نصرّ على ذلك»[١٢٨].